مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 250-263

آراء عبد الحميد بن باديس الإصلاحية في التربية ومناهج التدريس

Abd al-Hamid bin Badis' reformist opinions on education and teaching Curriculum

فلاح أحمد[1*] مرسلي عماد الدين[2]

[1] مخبر البحوث النفسية والتربوية بجامعة سيدي بلعباس (الجزائر).

البريد الالكتروني المهني: ahmed.fellah@univ-sba.dz

[2] كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس (الجزائر).

البريدي الالكتروني:imadeddinemorsli@gmail.com

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/02/28	2022/03/10	2022/04/16

الملخص: لقد جسد ابن باديس في منهجه التربوي والإصلاحي المفهوم الحديث للتربية بمعنى أنه كان يهدف من خلال العملية التربوية إلى بناء الشخصية المتكاملة، حيث ترجم هذه التوجيهات في برنامجه التربوي حيث ضمنه الكثير من المواد العلمية والأدبية التي من شأنها أن تنمي القدرات العقلية للمتعلم مثل دراسة الحساب في ذلك الوقت وخصائص الأشياء وعلوم الطبيعة، أما عن طريقة التعليم عند ابن باديس فكانت تعتمد في عمومها على شرح النصوص وعلى طرح الأسئلة وتلقي الأجوبة، ما يسمى اليوم بطريقة الحوار كما كان يجمع في طريقته بين الحفظ والفهم بمعنى أنه لم يكن يقتصر على طريقة الحفظ والتلقين بدون فهم كما كان شائعا في ذلك الوقت وإنما كان يؤكد على الفهم حتى بالنسبة للمستويات الأولى أين ينبغي أن تعطى بعض الشروحات التي تتناسب مع قدرات التلاميذ وإمكانياتهم بدلا من حشو أذهانهم بمحفوظات لا يفقهونها لا يفهمونها، مع مراعاة الجانب التطبيقي في كل ما يتعلمه المتعلم من العلوم والفنون.

الكلمات المفتاحية: *الاصلاح التربوي ؛ التعليم ؛ مناهج التدريس*

Abstract:

In his educational and reformist approach, Ibn Badis embodied the modern concept of education in the sense that he aimed through the educational process to build an integrated personality. At that time and the characteristics of things and the sciences of

* **المؤلف المرسل**

nature, as for the method of education for Ibn Badis, it was generally based on the explanation of texts and on asking questions and receiving answers, what is called today the method of dialogue as he combines in his method between memorization and understanding in the sense that he was not limited to the method of memorization and indoctrination without Understand as it was common at the time. Rather, it emphasized understanding even for the first levels, where some explanations should be given that suit the students' abilities and capabilities instead of filling their minds with archives that they do not understand and do not understand, taking into account the practical aspect in all that the learner learns of sciences and arts. .

Keywords: *educational reform ; education ; Teaching Curriculum*

مقدمة:

يرى ابن باديس أن أية عملية إصلاح في المجتمع لابد أن تقوم على إصلاح التعليم أولا وأن أي إهمال لهذا الجانب سوف يؤدي لا محالة إلى فشل العمل الإصلاحية، ولأكثر من هذا فهو يرهن صلاح المسلمين وصلاح علمائهم بصلاح التعليم، يقول رحمه الله: لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم فالتعليم هو الذي يصبغ المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره وعلى هذا الأساس عقد العزم على إصلاح التعليم في الجزائر والعودة به إلى ينابيعه الأولى.

وكان السعي إلى تكوين وإنشاء المدارس الحرّة، وبناء المساجد وتأسيس النّوادي بالإضافة إلى الكشّافة الإسلاميّة، وبعض الهيئات والمنظّمات الخيريّة لتّربيّة الشّباب المسلم، وتحت غطاء هذه الأنشطة كانت الجمعيّة تّخوض في الشأن السّياسي من خلال زيادة الوعي لدى الشّباب بضرورة رفض الاستعمار وسياسته التّعسّفيّة، ويمكن القول بأن جمعيّة العلماء اتخذت من التربية وسيلة للإصلاح الثّقافي والاجتماعي والسّياسي، لأنّ الأهداف التربوية عندها تشمل هذا كلّه.

1. التعريف بشخصية عبد الحميد بن باديس:

ولد الشيخ عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس في ليلة الجمعة الرابع من شهر ديسمبر 1889 بمدينة قسنطينة بالشرق الجزائري وكان الولد البكر لوالديه، والده" مصطفى بن مكي بن باديس" من أعيان مدينة قسنطينة، حيث كان نائبا عنها في المجلس الجزائري الأعلى، والمجلس العمالي لعمالة قسنطينة، أما أمه فهي السيدة "زهيرة بنت علي بن جلول" من أسرة عبد الجليل المشهورة بالعلم والجاه والثراء وقد كانت عائلته مشهورة في الجزائر والمغرب العربي كله منذ قرون عديدة، فقد لعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب العربي الإسلامي سياسيا وعلميا ودينيا منذ القرن الرابع الهجري. (تركي، 2004: 123)

لقد تلقى ابن باديس تعليمه على الطريقة التقليدية فحفظ القران الكريم أولا وسنّه 13عاما، وقد أعجب به شيخه الذي كان يحفظ عليه القران بذكائه، وفطنته، وخلقه، واستقامته فقدمه ليؤم الناس في صلاة التراويح بالجامع الكبير بقسنطينة لمدة 03 سنوات، وتلقى مبادئ اللغة العربية والإسلامية بجامع سيدي عبد المؤمن على مشايخ من أشهرهم العالم الجليل الشيخ "حمدان الونيسي" ابتداءً من عام 1903 والذي حبب إليه العلم، ووجهه الوجهة المثلى فيه، أكمل تعليمه الثانوي والعالي سنة 1908 بجامع الزيتونة ، وفي رحاب هذا الجامع نبغ عبد الحميد وتفتح عقله وذهنه على آفاق واسعة من العلوم والثقافة الإسلامية وانكب على مطالعة أمهات الكتب والمخطوطات النادرة،وفي سنة 1911 تحصل على شهادة العالمية، ثم درس سنة كاملة بعد تحصيله على أعلى شهادة في جامع الزيتونة ، وكان ترتيب ابن باديس بين جميع الطلبة الأول، كما كان الطالب الجزائري الوحيد الذي تخرج من الزيتونة في تلك الدورة. (تركي، 2004: 18-20)

2. تأثر ابن باديس بالقران الكريم:

يعتبر هذا العامل من أهم العوامل الذي كان له الأثر البالغ في تكوين شخصية عبد الحميد ابن باديس، حيث أنفق معظم حياته في تعلمه وتدبره وتفسيره للناس من هدايته لهم، والمعروف أنه لم يختم القرآن تفسيرا أحدٌ غيره في الجزائر منذ ختمة "أبي عبد الله التلمساني" سنة 800 ه، وذلك رغم مشاغله الكثيرة التربوية، الصحفية والاجتماعية، ولابن باديس رأي في القرآن بنى عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقه وهو رأي المصلحين من قبله ،وقد استوحاه في كل أعماله التي قام بها في سبيل تحرير الجزائر من الخرافات والأساطير والشعوذة التي نشرها رجال الطرق الصوفية بين العامة الساذجة من جهة، وتحريرها من الاحتلال الجاثم، وبعثها بعثا جديدا على أساس عروبتها وإسلامها من جهة أخرى وأن يقيس كل عمل يريد القيام به في هذا الميدان مع القران الكريم فإن اتفق معه قام به، وإن لم يتفق معه انصرف عنه، يقول ابن باديس" ثم الفصل أولا وأخيرا لله ولكتابه الذي هدانا لفهمه والتفقه بأسراره والتأدب بآدابه وأن القرآن الذي كون رجال السلف لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف لو أحسن فهمه وتدبره وحلت الأنفس على مناه". (تركي، 1984: 181-183)

3. ارتباط ابن باديس بوطنه الجزائر:

يقول ابن باديس "أما الجزائر فهي وطني الخاص، الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وأشعر بأن كل مقوماتي مستمدة منه مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة و كما أنني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه، إلى رجاله وماله وحاله وآلامه". ويلاحظ أن الشيخ بن باديس عندما يتكلم عن الشعب الجزائري، يكون كلامه مشوبا بمسحة من الإجلال والاحترام الكبيرين ويرى أن خدماته وتضحياته في هذا الميدان مهما

كانت ضخمة تعتبر ضئيلة متواضعة ولذلك أداب نفسه في عمل متواصل بالليل والنهار من أجل بعث النهضة في الشعب الجزائري وايقاظه من نومه العميق كي يلاحق الأمم المتطورة ويسابق الشعوب الناهظة. (ابن باديس، 1937: 424-428).

ويصفها في موضع أخر" ثم لهذه المة الكريمة المعوانة على الخير المنطوية على أصول الكمال ذات النسب العريق في الفضائل والحسب الطويل العريض في المحامد، هذه الأمة التي ما عملت يوما لإرضائها لذاتها وإنما عملت وما أزال أعمل لإرضاء الله بخدمة دينها ولغتها ولكن الله سددها في الفهم وأرشدها الى صواب الرأي، فتبينت قصدي على وجهه وأعمالي على حقيقتها فأعانت ونشطت بأقوالها وأموالها وبفلذات أكبادها، فكان لها بذلك كله من الفضل في تكويني العملي أضعاف ما كان لتلك العناصر في تكويني العلمي" (ابن باديس،1937: 231-288)

4. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الاصلاحي:

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعيّة إسلامية في سيرها وأعمالها، جزائريّة في مدارها وأوضاعها، علميّة في مبدئها وغايتها، أُسّست لغرض شريف تستدعيه ضرورة هذا الوطن، وطبيعة أهله، ويستلزمه تاريخه الممتدّ في القدم إلى قرون وأجيال، وهذا الغرض هو تعليم الدّين ولغة العرب التي هي لسانه المعبّر عن حقائقه.

ويقوم مشروع جمعيّة العلماء على أسس ثلاث: الدّين الإسلامي، اللّغة العربيّة، الوطن الجزائري، وهي التي أرادت من خلال مشروعها إصلاح الواقع الجزائري المتخلّف تحت قبضة الاستعمار الفرنسي، وعلى هذا الأساس صيغ شعار الجمعيّة المعروف: الإسلام ديننا والعربيّة لغتنا والجزائر وطننا.

أما عن مبادئها فتتمثل في:

- إحياء الدين الإسلامي، وتطهيره من الشوائب التي علقت به.
- تطوير الثقافة العربية الإسلامية.

- توحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة والإسلام.
- توعية الشباب الجزائري بالشخصية الجزائرية، وتهيئته للنضال في المستقبل.
- إقامة جسور للتعاون بين الجزائر والدول العربية الإسلامية.
- الدعوة إلى توحيد العمل المشترك مع أبناء تونس والمغرب.
- نشر تعليم عربي مستوحى من الوحدة العربية الإسلامية.(بوحوش، 2005: 244-245)

وفي ظلّ الواقع الجزائري المرير، فإنّ المشروع الإصلاحي الذي خططت له جمعيّة العلماء يسعى إلى تحقيق هدفين عظيمين:

- الأوّل: استقلال الجزائر وتطهيرها من الاحتلال الفرنسي.
- الثاني: إصلاح المجتمع الجزائري.

ولتحقيق الهدف الأوّل سعت جمعيّة العلماء إلى المشاركة في العمل السّياسي منذ وقت مبكّر من تأسيسها، من ذلك حديثها عن قضايا الجزائريين ومطالبة فرنسا بالمساواة في الحقوق كما ساوت بينهم في الواجبات، بالإضافة إلى محاربة فرنسا عن طريق نشر التعليم حتّ ترتبط الأمّة الجزائريّة بالعالم الإسلامي.

ولتحقيق الهدف الثاني المتمثّل في إصلاح المجتمع الجزائري، اضطرّ ابن باديس إلى نوع آخر من المقاومة، تمثّل في منازلة فريق آخر، وهو مشايخ الطرق الصّوفيّة الذين أغواهم الاحتلال الفرنسي، فاتخذهم أداة ووسيلة لتخدير العقول وتسميمها باسم الدّين، فتصدّى لهم علماء جمعيّة العلماء، وكشفوا زيف أباطيلهم وعارضوا اتّجاهاتهم.

كما عنيت جمعيّة العلماء بميدان إصلاح أخلاق الجزائريين، وهو ما عمل عليه علماء الجمعيّة من خلال الحركة العلميّة التعليميّة التّي قاموا بها، ولم تكن التربية عندهم ملأ أذهان الطّلاب بالمعلومات فقط، بل تعدّتها إلى التربية المتكاملة التّي تؤدي إلى رفع مستوى الوعي الفكري والسّياسي والأخلاقي.

وابن باديس استعمل سلاحين: الصّحافة والمدرسة كي يهاجم أعداءه، ولكي يُعد الأرض لخلق منظمة وطنيّة للعلماء، ولماّ كانت عمليّات التّعليم تجري في أماكن مختلفة بما في ذلك المساجد والمدارس والنّوادي، فقد كان على العلماء أن يبحثوا على طرق خاصّة لإصلاح هذا التّعليم، فكانوا ينتقدون النّظام القديم، على أنّه ضحل وغير عمليّ، لذلك اتّبعوا في المساجد طريقة السّلف الصّالح في تعليم القرآن الكريم والسّنة النّبويّة، أمّا في المدارس فقد طبقوا طريقة سهلة في تعليم العربيّة، حيث حاولوا أن يطهّروا اللّغة من الدّخيل والاستعمالات الهجين. (سعود وغربي، 2010: 29)

5. الاصلاح التربوي عند ابن باديس:

أدركت الجمعية أن التعليم هو السبيل إلى التحرر، فالأمة الجاهلة لا يمكنها الحصول على الاستقلال ولا المحافظة عليه، ولأجل ذلك انطلقت الجمعية في نشر التعليم، في سبيل الوصول إلى القضاء على الجهل، ونشر الوعي الصحيح، من خلال تأسيس المدارس العربية الحرّة التي فاق مجموعها حسب الشيخ البشير الإبراهيمي 140 مدرسة، احتضنت نحو 50.000 تلميذ من الذكور والبنات، وبلغ مجموع معلّميها نحو 400 معلّم، وعملت على محاربة الآفات الاجتماعية كمعاقرة الخمو، وتعاطي المخدّرات، ولعب القمار، وغيرها، كما اهتمت بالطفولة من خلال الجمعيات الخيرية بالإضافة إلى الأرامل والأيتام واهتمت بالمرأة عبر التوعية المسجدية والتعليم الذي شمل في سنة 1952 م، نحو 13000 بنت في مدارس الجمعية (32)، فقد كانت المرأة المسلمة في الجزائر قبل ظهور الحركة الإصلاحية تعاني الجمود والركود والجهل والحرمان، بسبب العادات والتقاليد الفاسدة ، والفهم الخاطئ للدين الإسلامي، وتشير الجمعية إلى الدور المهم الذي تلعبه المرأة في الأمة الواحدة، فترى الأمة كالطائرة لا تطير إلا بجناحين وجناحاها هما الرجل والمرأة ومن ثم فإن الأمة التي تقصر التعليم على الرجل دون المرأة، مآلها السقوط لا محال. (ابن باديس، 1983: 201).

وإضافة إلى جهود علماء الإصلاح في مجال التربية والتعليم عبر المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد نهض كذلك هؤلاء العلماء بعديد الأدوار في مجال المجتمع ومحاولة إصلاحه جراء ما لحق به من مخلفات السياسة الاستعمارية المتوجهة لتدمير المجتمع والقضاء على ثوابته الدينية والوطنية، كما كانت جهود هؤلاء العلماء منصبة أيضاً للتصدي للأفكار الهدامة التي حاولت التمكين لها الطرقية المنحرفة، استهدافاً لأجل المحافظة على مكانتها وهيبتها في نظر الأهالي الجزائريين الذين اجتمعت عليهم محنة الاستعمار مع محنة الطرق الصوفية الضالة. (محمدي، 2020: 188). فقد كانت غاية التربية عند رجال الحركة الإصلاحية المنضوية تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تأسيس المدارس لإعداد جيل جديد متشبع بالمبادئ والقيم الإسلامية ومتقنا للغة العربية، فلم تحاول الجمعية فتح مدارس حرة في المدن الجزائرية بمبادرات مباشرة منها، بل كانت تسعى إلى ذلك عن طريق تكوين جمعيات إصلاحية محلية من أشخاص آمنوا بمبادئ الجمعية، ويتكونون في كثير من الأحيان من مختلف الطبقات الاجتماعية، تتولى كل جمعية من الجمعيات التي تطلق على نفسها اسم جمعية الإصلاح، أو جمعية التربية والتعليم، فتح مدرسة حرة أما دور الجمعية فكان يشمل اختيار المعلمين، والإشراف على سلوكهم ونشاطهم، كما يشمل تأمين الكتب اللازمة للتلاميذ والتفتيش التربوي، الإشراف الفني على المدارس كاختيار البرامج التعليمية، والمراقبة الدورية، وكثيرا ما كانت الجمعية تحتضن المدرسة في حال تضعضع الجمعية المحلية، فتؤمن كل المتطلبات الضرورية. (فلاح، 2016: 36)

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه عندما بدأ عبد الحميد بن باديس عمله الإصلاحي التربوي في الجزائر كان أمامه الكثير من التحديات نذكر منها على سبيل المثال:

- 15 ألف جندي فرنسي ينتظر مجرد الإشارة من إدارته ليفتك بالجزائريين.
- 120 ألف مهاجر جزائري و 800 عائلة مشردة هاربة من القهر والظلم.

- 50 ألف جزائري يمنحون الجنسية الفرنسية.

- اللغة العربية لغة أجنبية بالنسبة لجميع الجزائريين وتعلمها يعتبر أمرا محظورا .

ولقد كانت هناك قناعة لابن باديس بأنه لا سبيل لمعالجة هذا الواقع وإصلاحه إلا بوضع منهج تربوي قوي يكون في مستوى التحديات والتطلعات.

ويرى ابن باديس بأن نجاح العملية التعليمية مرتبط بالقدوة الحسنة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة والأمة فالفرد لا يستطيع أن يحقق أهدافه التعليمية والتربوية إلا إذا كان يمثل القدوة الحسنة الصالحة وكذلك الأمة لن تكون قدوة لغيرها إذا أهملت أمر نفسها يقول رحمه الله: لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه، فعناية المرء بنفسه عملا وروحا وبدنا لازمة له ليكون ذا أثر في الناس على منازلهم في القرب والبعد ومثل كل شعب من شعوب البشر لا يستطيع أن ينفع البشرية ما دام مهملا مشتتا لا يهديه علم ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه وإنما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله فأخذ الأصول الثابتة من الماضي وأصلح من شأنه في الحال ومد يده لبناء المستقبل، يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه معرضا عما لا حاجة له به. (عواريب، 2010: 231).

ركّز ابن باديس على ثلاث مؤسّسات تربوية كان لها الفضل الأكبر في حركة الإصلاح الجزائري المعاصر وهي: مؤسسة المسجد، ومؤسسة مدرسة التربية والتعليم الإسلامية، ومؤسسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وهذا دون أن نقلّل من أهميّة المؤسسات الأخرى التي أسهم فيها أو أشرف عليها ابن باديس مثل: "مؤسسة جمعية التجار المسلمين، ومؤسسة جمعية رعاية الأيتام، ومؤسسة جمعيات الكشافة الإسلامية، ومؤسسة المطبعة العربية...".

ويرى ابن باديس أنّ كل العلوم التي تخدم الإنسان من جميع النواحي فهي من علوم الإسلام ومن علوم المساجد ومن هنا إنّ التقسيم الذي اعتاده بعض النّاس في وقتنا

الحاضر، وهو تقسيم العلم إلى قسمين: علم شرعي وعلم دنيوي، هو تقسيم لا أساس له من الصحة، لأنّ كل العلوم التي تخدم الإنسان من جميع النواحي فهي مما شرّعه الشارع الحكيم وحثّ الأمّة أفراداً وجماعات على ضرورة تعلّمه وتعليمه لتحقيق الأمن والسلام.

كما ركز ابن باديس على تعليم البنات، بعدما كان قاصراً على البنين فقط في عهود مضت، قال ابن باديس "والتعليم فيه اليوم للبنين وقد عزمت الجمعية على فتح دروس بعد رمضان إن شاء الله تعالى لتعليم البنات، فندعو إخواننا المسلمين إلى المبادرة بأبنائهم وبناتهم إلى المكتب، فأمّا البنون فلا يدفع منهم واجب التعليم إلا القادرون وأمّا البنات فيتعلّمن كلّهنّ مجاناً لتتكوّن منهنّ بإذن الله المرأة المسلمة المتعلمة" ويلاحظ في هذه الفقرة أنّ ابن باديس جعل تعليم المرأة في هذه المدرسة تعليماً مجانيّاً سواء كانت قادرة على دفع مصاريف التعلّم أم عاجزة، وهذا تشجيعاً لها لتحصيل العلم المناسب لفطرتها كي تُوَظِّفه في تربية أولادها تربية إسلامية صحيحة باعتبار أنّهم سيكونون رجال ونساء الأمّة وقادتها المعوّل عليهم في المستقبل .(باي وسوهيرين، 2015: 138-143).

إن الدور التربوي الذي تؤديه مدارس جمعية العلماء لا يقل أهمية عن الدور التعليمي، لأن غاية رجال الجمعية هي تخريج أجيال متعلمة بوعي وأخلاق مع اكتسابهم لمهارات متنوعة، وقد اقترن الدور التربوي في مدارس الجمعية بالدور التعليمي منذ نشأتها، وظلت مدارس الجمعية تقوم بنفس المهمتين في وقت واحد وهما التربية والتعليم.ولكون الدور التربوي والتعليمي في غاية الأهمية، كان من واجبات القائمين على هذه المحاضن التربوية القيام بدورين آخرين لا يقلان أهمية عنهما وهما الدور الإداري والاجتماعي، من حيث حسن الاستقبال، وضبط المواقيت والبرامج، وتحيين المناهج التي تتماشى مع مستوى المتعلمين، ونوعيتهم سواء الملتزمون أو الكتَّاب، مع معرفة الوضعية الاجتماعية لمختلف التلاميذ ومتابعتهم حتى خارج المدرسة للتقليل من مخاطر التسرب المدرسي، إضافة إلى ارتباط المعلمين بالمتعلمين.

6. التعليم ومناهج التدريس عند ابن باديس:

عاشت الجزائر منذ 1830 م في جمود فكري رهيب، حيث انحصرت الثقافة العربية الإسلامية، وانتشر عوضا عنها الجهل والبؤس على الجزائريين، ونضبت المعارف والعلوم من البلاد، وهيمنت الأفكار المنحرفة على عقول عوام الجزائريين، وانقطعت الصّلات الثّقافيّة بين الجزائر والعالم الإسلامي، وذلك نتيجة السّياسة التي انتهجتها سلطات الاحتلال الفرنسي، لكن عرف الجزائريّون في مطلع القرن العشرين حركة فكريّة وثقافيّة وثورة عامّة شملت جميع الميادين، وخاصّة ميداني الصّحافة والتأليف، والجمعيات والنوادي الثقافيّة، ففي مجال الصّحافة انفتح طريق الاتّصال بين الجزائر والعالم العربي والإسلامي، فكانت الجرائد والمجلات تتسرّب إلى الجزائر من مصر وغيرها عن طريق الحجّاج الذين يعودون من البقاع المقدّسة. (سعد الله، 1980: 100).

وكان من أهداف رجال الإصلاح في الجزائر عموما، هو إصلاح أمر التعليم وتغيير البرامج أو تعديلها خدمة للتلميذ. وقد ناد بذلك عدد كبير من الراغبين في عملية تهذيب التعليم، وتغيير البرامج المعتمدة حتى يستفيد المتلقون، وكذا تنظيمه بواسطة إدخال أساليب تربوية جديدة، والتركيز خاصة على التعليم الابتدائي وتعليمهم اللغة العربية الفصحى التي عمل الاحتلال على تدميرها وبالمقابل شجّع على انتشار اللغة العامية،لذلك سعت جمعية العلماء منذ البداية إلى اعتماد نظام حديث في التعليم، يشتمل على القرآن الكريم أولا، ثم على القراءة والكتابة، وكل ما له علاقة بأدوات اللغة العربية، إضافة إلى علوم الدين وكذا مادة الحساب.

لم يكن الشيخ عبد الحميد بن باديس يمانع في تعلم اللغات الأجنبية، بل لقد عرف عنه أنه يخصص ضمن مناهجه الدراسية في مدرسة التربية والتعليم التي كان يشرف عليها بمدينة قسنطينة، دروسا فير اللغة الفرنسية، انه في الواقع لم يقم بذلك إلا اقتداء

بالسلف الصالح، لكن لدى الفرنسيين كانت حسابات أخرى، كما صرح بان ثقافة المرأة الجزائرية يجب أن تكون إسلامية لان تعليم البنت الجزائرية لغة غير لغتها في مثل هذه الظروف وتارخا غير تاريخها، من شأنه أن ينتج للجزائر أجيالا تجهل ماضيها والتالي تتنكر لوطنها، ومن أهم الأساليب الهدامة في التعليم التي تبنتها السلطات الفرنسية والتي واجهها الشيح ابن باديس هو ظهور التنافس بين اللغة العربية واللهجة الدارجة واللهجة البربرية، وفق سياسة فرق تسد بغية محو أثار القران من جهة ومن جهة أخرى خلق الفوضى والبلبلة والتفرقة العنصرية بين الإخوة. (زميرلين، 2013: 182-183).

ورغم أن القائمين على التعليم في مدارس الجمعية كثير منهم خريجي جامع الزيتونة أو الأزهر ولديهم رؤية متقاربة في المرامي والأهداف من العملية التعليمية، إلا أن مفردات البرامج التي اعتمدت عليها مدارس الجمعية لم تكن قارة، بل وقعت عليها تحويرات بالزيادة والنقصان، مراعين في ذلك ظروف التلاميذ سواء الملتزمون أو الكتاب، خاصة بعد أن تكونت لجنة التعليم وبالنسبة لأساليب التعليم المنتهجة مع تلاميذ المدرسة فهي تعتمد على الانطلاق من البسيط إلى المركب، فالقواعد يتم فيها تقديم أبسط التراكيب السهلة، ويعتمد المعلمون على طريقة التلقين، والإكثار من التمارين العملية، كي ترسخ القواعد في أذهان التلاميذ مع التركيز على المعنى، والابتعاد عن الزخارف اللفظية، فالتلقين كان السمة الغالبة التي تم اعتمادها في المدارس، وكان التلاميذ يتجاوبون معها في المواد التالية: القرآن الكريم، النحو والصرف، والعمليات الحسابية بالإضافة إلى المحفوظات والأناشيد. (بعلوج، 2019: 199-200).

وقد عقدت جمعية العلماء مؤتمرها السنوي الخامس سنة 1935 وذلك لمناقشة تقارير عن التعليم المكتبي، حالته وكيف ينبغي أن يكون وقد انتقدت التقارير المعدة في المؤتمر، التعليم القديم في الكتاتيب القرآنية في عدة نواحي، ومنها بقاء الكتاتيب القرآنية على حالها القديم منذ قرون من حيث البرامج والوسائل والأدوات المستعملة في التدريس

وفقدان مكان التدريس لشروط الصحة المطلوبة لتعليم سوي، بالإضافة إلى عدم كفاءة معلمي الكتاتيب القرآنية وجهلهم بأساليب التدريس وقلة علمهم واكتفائهم بحفظ القران دون حفظه مع بقاء الطفل لسنوات ومن أسباب انحطاط التعليم المكتبي بعده عن التربية الإسلامية فلا بد من أخلاق عالية وتربية إسلامية وإعداد خاص، كما نشير هنا إلى عدم اهتمام الكتاتيب سن الدخول إليها وعدم تحديد أوقات الدراسة والعطلة وعدم خضوع التلاميذ لاختبارات تحدد مستواهم، بالإضافة إلى عدم توحيد البرامج وتهذيب المناهج. (هواري ومغدوري، 2021: 519)

7. خاتمة:

عالج البحث موضوعاً مهمّاً في إبراز جهود الإمام عبد الحميد بن باديس في الجانب الإصلاحي والكشف عن منهجه في اصلاح الواقع الاجتماعي والتربوي للأمّة ووقوفه في مواجهة التغريب، والمحافظة على أصالة الأمّة المسلمة في الجزائر، فهو مهندس النهضة الإسلامية العلمية بالجزائر، وواضع اللَّبِنات الأولى لاندلاع الجهاد المبارك، وأهم من ذلك كله إنه كان سبباً في تثبيت هُوية الجزائر الإسلامية والعربية في وجه الاستعمار الفرنسي، من خلال إرساء التعليم الإسلامي الحر وتطويره لمناهج التدريس التي تراعي الخصوصية والثقافة الجزائرية ، متبنيا في ذلك أساليب متعددة، سمحت للكبار والصغار أن يتعلموا، ذكورا وإناثا، كما كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأثر الكبير في جمع كلمة الدعاة والقادة المسلمين في العالم العربي والإسلامي لمواجهة التحدّي الاستعماري الذي استهدف الإسلام كدين والمسلمين كأمّة، والأرض الإسلامية كوطن.

8. قائمة المراجع:

ابن باديس، عبد الحميد.(1937). مجلة الشهاب، ج 1 م 12، ص ص424-428
ابن باديس، عبد الحميد.(1937). مجلة الشهاب، ج 4 م 14، ص ص231-288

ابن باديس، عبد الحميد.(1983). *مجالس التذكير من حديث البشير النذير*. ط1. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.الجزائر.

باي، عبد زكوب و صوليحين، محمد سوهيرين.(2015). الامام المصلح عبد الحميد بن باديس: حياته وجهوده التربوية. مجلة الاسلام في اسيا، المجلد 12، العدد 1، ص ص 106-151.

بعلوج، سليم.(2019). تأثير التعليم العربي الحر في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية - تجربة جمعية العلماء المسلمين أنموذجا (1931-1954). الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12 ، العدد1 ، ص ص 197-205.

بوحوش، عمار.(2005). *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962*.ط2. دار الغرب الإسلامي.الجزائر.

تركي، رابح.(1984).*الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر*.ط4. المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر.

تركي، رابح.(2004). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ورؤسائها الثلاثة*. مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.الجزائر.

زميرلين، نصيرة.(2013).*التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي*. دار الخلدونية للنشر والتوزيع.الجزائر.

سعد الله، ابو القاسم.(1980). *الحركة الوطنيّة الجزائريّة 1900-1930*، ج2، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

عواريب، لخضر بن العربي.(2010). نظرات تربوية في المنهج الإصلاحي الباديسي. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد1، ص ص 228-236.

غربي، سعود وحمزة، ابراهيم.(2010).*الدور الاصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين(جريدة السنة النبوية المحمدية أنموذجا- دراسة تحليلية)*[مذكرة ماستر]. جامعة الشهيد لخضر حمه. الوادي(الجزائر).

فلاح، سفيان.(2016).*النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من 1936 حتى 1956* [مذكرة ماستر]. جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان (الجزائر).

محمدي، محمد.(2020). الجهود التربوية والاصلاحية لمعلمي وشيوخ المدارس الحرة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال المرحلة الاستعمارية 1931-1962 "محمد الصالح بن عتيق أنموذجاً".المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 16، العدد 1 ، ص ص 178-192.

هواري، منيرة ومغدوري، حسان.(2021).اصلاح التعليم العربي في المدارس الحرة بالجزائر(مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا). مجلة عصور الجديدة ، المجلد 11، العدد2، ص ص 515-531.